

حقيقة الخطر الروسي على الهند في القرن التاسع عشر

قسم التاريخ / كلية الاداب

د. نوري السامرائي

شغلت مزاعم بريطانيا العظمى حول (حماية الهند من الغزو الروسي) حيزا كبيرا في سياستها الخارجية منذ سبعينات القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين خاصة بعد أن توسعت الممتلكات الروسية في آسيا الوسطى* بحيث امتدت من بحر اورال شمالا حتى هضبة البامير جنوبا ومن بحر قزوين غربا حتى مقاطعة تيان شان شرقا وبهذا أصبحت الجيوش الروسية في آسيا الوسطى وجها لوجه أمام الجيوش البريطانية المتواجدة في الهند ولا يفصل بينهما سوى الاراضي الافغانية . ان نجاح روسيا في توغلها في آسيا الوسطى في تلك الفترة أدى الى اصطدام مصالحها بصورة جديدة مع المصالح البريطانية هناك وكان أبرز أوجه هذا الاصطدام اشتداد الصراع بين روسيا وبريطانيا للسيطرة على افغانستان وفارس وجهود بريطانيا في انتزاع آسيا الوسطى من النفوذ الروسي اذ بدأت بتحريض الامراء المسلمين وخانات آسيا الوسطى على الثورة ضد النفوذ الروسي متسترة بشعار حماية الهند من الغزو الروسي (١) . ولم يكن الكلام حول هذا الموضوع قد جاء عن طريق الصدفة بل كان قناعا للسياسة الاستعمارية البريطانية في مناطق الشرق منذ السبعين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر وهي فترة اشتداد حركة التوسع البريطاني في الصين وافغانستان وفارس والبلدان المجاورة

(*) آسيا الوسطى : جزء من اسيا السوفياتية ، تتكون من الجمهوريات الاتية : تركمانيا ، اوزبكستان ، تاجكستان ، قرغيزيا ، والقسم الجنوبي من كاغزستان .

1 — The Cambridge shorter history of India, p. 812.

أو المتاخمة لآسيا الوسطى الروسية فساندت الصحافة المحافظة وخاصة الهندية الدبلوماسية البريطانية والعسكرية عندما أبدت مخاوفها من الخطر الروسي المهدد للهند كما ظهرت في هذه الفترة في بريطانيا الكثير من المؤلفات والكتب تدعو إلى درء الخطر الروسي عن شبه القارة الهندية (٢) ٠ ولقد حاول هؤلاء المؤلفون والكتاب أن يثبتوا أن روسيا تنهياً لغزو الهند وبذلوا جهداً كبيراً لاقتناع الحكومات البريطانية في العمل الفعال للدفاع عن مصالح الإمبراطورية البريطانية وبصورة خاصة توسيع المنطقة المحايدة شمالي الهند وتقوية النفوذ البريطاني في جميع مناطق الشرق كما دفعوا الحكومات البريطانية لانتهاج سياسة توسعية في آسيا في الوقت الذي كانت فيه أوضاع روسيا الداخلية العسكرية والاقتصادية والسياسة لا تساعد على مجابهة بريطانيا والقيام بمثل هذه المشاريع الجبارة - غزو الهند - وهناك الكثير من الحقائق التي تدحض الادعاءات البريطانية حول وجود خطر روسي على الهند ٠ والواقع أن هذه الادعاءات لا تستند إلا على أدلة مصطنعة ومتحيزة لتبرير سياستها العدائية في الشرق أمام الرأي العام العالمي والبريطاني ٠ على أننا إذا أمعنا النظر في ذلك نجد أن التقدم الروسي في آسيا الوسطى لا يقتصر خطره على الاستعمار البريطاني في الهند بل وعلى نفوذ بريطانيا في الاقطار المجاورة للهند فالتواجد الروسي في المناطق المجاورة للقاعدة البريطانية الرئيسة - الهند - يمكن أن يسبب لبريطانيا المتاعب التالية :

- 2 — A. Curzon, G. N. Russian in Central Asia and the Anglo-Russian question, London, 1889.
- 2 — B. Colquhoun, Archibald R. Russia against India. The struggle for Asia, New York, London, 1900.
- 2 — C. Rawbinson, H. C. England and Russia in the East, London, 1845.
- 2 — D. Boulger, D. C. England, Russia in control Asia, London, 1879.
- 2 — E. Vambery, Arminius, the coming struggle for India, London, 1885.
- 2 — F. Marvin, Reconnoitring Central Asia, London, 1884.

- ١ - عرقلة التوسع البريطاني في المناطق المحيطة بشمال الهند .
٢ - تشجيع المجابهة الشعبية ضد النفوذ البريطاني في شبه القارة الهندية .

ونجد بين الوثائق الروسية لما قبل الثورة الاشتراكية وخاصة وثائق الاركان العامة عدة مشاريع لغزو الهند وضمها الجنرالات الروس وأعضاء الحكومة الروسية . وعند تصفح هذه المشاريع تظهر الاوهام الخيالية للحكام الروس اذ انهم لم يدرسوا واقع البلاد ومدى امكانية تطبيق مثل تلك المشاريع ونتائجها كما أن روسيا شبه الاقطاعية والمتأخرة اقتصاديا ليس من مصلحتها القيام بمثل تلك المشاريع الجبارة بل عدم قدرتها على القيام بها . والتفسير الوحيد لوجود مثل هذه المشاريع هو ممارسة شيء من التهديد والضغط على بريطانيا وبالمناسبة فقد فسر بعض العسكريين الانكليز وقسم من رجال السياسة والمؤرخين في المائة سنة الاخيرة بان المقصود بالخطر الروسي - هو التحضير الواسع . لاعداد الحملة العسكرية لغزو الهند . وقد ظهرت هذه الفرضية لأول مرة منذ بداية القرن التاسع عشر مع مشروع القيصر الروسي بولص الاول . أما ما قيل عن محاولات القيصر الروسي بطرس الاول في ذلك فانها بعيدة عن الصحة وليس لها من أثر في الوثائق الروسية او الكتب التاريخية الروسية القديمة .

ويعتبر القيصر بولص الاول أول من فكر بمشروع غزو الهند وذلك بعد اتفاه مع نابليون الاول في كانون الثاني سنة ١٨٠١ م (٣) . اذ كان التحالف الذي قام بين الطرفين موجها ضد بريطانيا باعتبارها عدوا مشتركا لكل منها . ويقوم المشروع الروسي على اعداد حملة مشتركة من الروس والفرنسين قوامها سبعون الف جندي نصفها من القوات الروسية وتضم خمس وعشرون الف جندي نظامي وعشرة آلاف من الغيالة القوزاق وكان من المقرر أن يسلك الجيش الروسي الطريق البحرية الى استرabad على السواحل الجنوبية الشرقية لبحر قزوين وهناك تلتقي بالقوات الفرنسية التي تصل عن طريق نهر التونا والبحر الاسود - مضيق كيرجينسكي - تاجان روج سارتيسن - استراخان ومن ثم بحر قزوين . ومن استرabad تتحرك الحملة المشتركة - الفرنسية الروسية - عن طريق شمال فارس باتجاه مشهد - هرات - قندهار نحو الهند . الا انه عند مناقشة المشروع ظهرت

(٣) رسالة بولص الى نابليون الاول في ١٨٠١/١/٢٧ - مجموعة الوثائق التاريخية - × × وثيقة رقم ١٦ ص ٣٢ - ص ٣٣ بتروغراد ١٨٩٠

بعض الشكوك حول احتمال عدم موافقة السلطان العثماني على مرور القوات الفرنسية عبر أراضيها عند عبورها نهر التونا . وعدم توفر وسائل النقل البحري والنهري لنقل هذه الجيوش عبر البحر الاسود واحتمال تعرض هذه السفن لهجوم القطاعات البحرية البريطانية . وفي الاخير ظهرت مشكلة صعوبة سير الحملة من استراياد الى الهند عبر بلاد موحشة ومقفرة . الا ان القيصر الروسي بولص رفض هذه المخاوف بكل حزم وقال بانه مقتنع من امكانية اجبار السلطان العثماني على الموافقة وانه يملك من السفن البحرية ما يكفي لنقل جيوش الحملة كما يملك قوة بحرية كافية لمجابهة الاسطول البريطاني في البحر الاسود ، أما بالنسبة للبلاد التي ستمر بها الحملة فهي ليست مقفرة وموحشة بتلك الدرجة ، اذ ان هذا الطريق مألوف منذ القدم خاصة طريق : استراياد - مشهد - هرات . ومع ذلك فقد عارض أعضاء الحكومة الروسية انذاك وبعض المتنفذين مشروع القيصر على أساس أن هذه الحملة لا تؤدي الى نتائج ومكاسب سياسية واقتصادية لروسيا بحيث انها تدعو للتفاؤل علما بان على الحملة ان تقطع مسافة ٢٥٠٠ كم في طريق صحراوي معرض للمخاطر ثم صعوبة تأمين الغذاء والماء والعلف للحيوانات ، ثم موقف شاه فارس وامير افغانستان والقبائل البدوية من تلك الحملة . ولذلك غدا من الصعب الافتراض او الاصرار على عدم وجود المصاعب والعوائق في وجه الحملة بين استراياد - الهند اذ أن الاصطدامات مع الكثير من القبائل البدوية الشجاعة سيضعفها عند وصولها الى الهند اذ تكون قوتها وطاقتها الحربية قد استنزفت مما يجعل من الصعب عليها مجابهة الجيوش البريطانية النظامية في الهند .

وعلى الرغم من هذه التحذيرات فقد استمر القيصر بولص في حماسه واصراره على تنفيذ المشروع فكتب الى خانات وامراء آسيا الوسطى يطلب منهم وضع جميع امكانياتهم المادية والبشرية لغدمة مشروع الحملة .

كما كتب الى الجنرال اورلوف - قائد الجيش الروسي في منطقة الدانوب - يأمره بوجوب الاسراع في اعداد الحملة كسبا للوقت وان ثروة الهند كلها ستكون ثمناً لهذه الحملة (٤) . كما أمر أحد جنرالاته بالتوجه الى الهند لجمع المعلومات لكي تكون تحت تصرف قيادة الحملة . وربما كان القيصر بولص قد تأثر بقول نادر شاه عندما غزا الهند ١٧٣٩ - ١٧٤٠

(٤) مجلة روسيا القديمة ج ٨ رسالة رقم واحد ص ٤٠٩ بتروغراد سنة

١٨٧٢ .

(هكذا يعمل الجيش الاسيوي الحقيقي) فقال يجب ان الا نتردد فان هذا
ينفذه اليوم الجيش الروسي والفرنسي (٥) .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على جهل القيصر الروسي وقلة
وعيه اذ كيف يمكنه أن يتخذ من غزو نادر شاه للهند أساسا لمحاولاته الرامية
الى احتلال الهند في عام ١٨٠٠ . الا ان القيصر بعد سنة من ذلك غير
رأيه بالنسبة للطريق الذي ستسلكه الحملة ، جاء ذلك في رسالة بعث
بها الى قائد الجيش الروسي في منطقة الدانوب في ١٢ كانون الثاني سنة
١٨٠١ وهو الجنرال اورلوف فقد رسم القيصر طريقا جديدا يستغرق مدة
أربعة اشهر ، وان يكون مكان التقاء الجيوش الفرنسية والروسية مدينة
اوربندرغ وبعدها تتبعه الحملة الى الهند وحذر من الاقتراب من بخاري
لخوفه من اثار الصين ، وبعد اوربندرغ تمر الحملة بمدينة خيفا ثم امدار
ومن بعدها تتصرف قيادة الحملة كيفما تشاء في اختيار طريقها للهند (٦) .
ان هذا المشروع الثاني الذي تقدم به القيصر كان أكثر ضعفا من مشروعه
الاول غير مقبول وربما كانت هذه المشاريع من بناء خياله الغضب ويظهر
انه لم يكن جادا في احتلال الهند بل كان ذلك من باب التظاهر ولارهاب
بريطانيا في القارة الاوربية على أن مشاريع الحملة هذه ما لبثت ان انهارت
بعد مقتل القيصر . لقد تجددت المشاريع الروسية لغزو الهند بعد قيام
التحالف الروسي الفرنسي في ثلست سنة ١٨٠٧ وفي هذه المرة جاء المشروع
بمبادرة من نابليون الاول الذي أراد استعمال مشروع الحملة كوسيلة
للضغط على بريطانيا في القارة الاوربية فقد كتب نابليون بعد توقيع
التحالف الى القيصر الروسي الاسكندر الاول في أن غزو الهند مما يخضع
بريطانيا ويضعفها (٧) الا ان السلطة القيصرية كانت متحفظة جدا في
هذه المرة (٨) ويذكر السفير الفرنسي في بتروغراد في رسالته الى وزارة
الخارجية الفرنسية بعد لقائه مع القيصر الروسي الاسكندر الاول في كانون
الثاني سنة ١٨٠٨ ان القيصر رفض مشروع الحملة العسكرية على الهند

-
- (٥) مجلة روسيا القديمة ح ٩ ص ٤٠١ - ٤٠٩ بتروغراد سنة ١٨٧٣ .
(٦) روسيا القديمة ح ٩ ص ٤١٢ بتروغراد سنة ١٨٧٣ .
(٧) مواد حول آسيا - هيئة الاركان العامة ح ٢٣ بتروغراد سنة ١٨٨٦ .
(٨) فاندال - نابليون الاول والاسكندر الاول ح ١ ص ٢٢٧ - الترجمة
الروسية عن الفرنسية - بتروغراد سنة ١٩١٠ - ١٩١٣ .

لان نجاحها غير ممكن ، كما ان طريق الحملة محفوف بالمخاطر . الا ان القيصر الروسي ما لبث ان وافق على المساهمة في الحملة وان يكون طريقها كما رآه هو طريق ستراباد - هرات (٩) على أن موافقة القيصر على المساهمة في الحملة مناورة سياسية ودبلوماسية يهدف منها الحصول على تأييد نابليون الاول في تنفيذ خطط روسيا التوسعية في البلقان والامبراطورية العثمانية والضغط على بريطانيا في أوروبا بنفس الوقت لصالح روسيا وفرنسا . وليس هناك شك في أن الاسكندر الاول واثق من استعالة تنفيذ المشروع ، كما أن نابليون نفسه لم يعمره اهتماما كبيرا بل وازداد اعتقاده بعدم امكانية تنفيذه ويتضح ذلك من رسالته الى سفيره في بتروغراد في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٠٨ (١٠) . والملاحظ ان الظروف الموضوعية لحملة الهند في سنة ١٨٠٧ تغيرت قليلا عما كانت عليه في الفترة ١٨٠٠ - ١٨٠١ فقد انضمت جورجيا الى الامبراطورية الروسية وبقي بحر قزوين بعيدا عن السيادة الروسية كما ضعف النفوذ الفرنسي في فارس مقابل ازدياد النفوذ البريطاني هناك بعد أن تعهدت حكومة الشاه لبريطانيا بمقابل مبلغ ٢٠٠ الف تومان سنويا بعدم سماحها بمرور الجيوش الفرنسية عبر أراضيها (١١) .

ان فشل السياسة الروسية حول سواحل بحر الخزر والعراقيل التي وضعتها بريطانيا في وجه الجيوش الفرنسية والتناقضات الروسية الفرنسية رغم تحالفهما سنة ١٨٠٧ مما جعل الحكومة البريطانية لا تعير خطر الحملة المشتركة - الروسية الفرنسية على الهند أي أهمية تذكر . على ان قيام محمد علي مرزا شاه فارس بحملة على هرات في سنة ١٨٢٧ باسناد روسيا ومساهمتها المباشرة اقلق الدبلوماسية والعسكرية البريطانية بحيث عاد شبح الخطر الروسي يسيطر على اذهان المسؤولين البريطانيين ، ومع ذلك فإن الادلة الواقعية تثبت بأن روسيا حتى هذا الوقت لم تكن تملك الامكانيات العسكرية والاقتصادية لاعداد حملة لغزو الهند مع ان معاهدة تركمان جاي سنة ١٨٢٨ بين روسيا وفارس كانت قد أعطت روسيا حق السيادة العسكرية على سواحل بحر قزوين الامر الذي يمثل أهمية كبرى لمستقبل روسيا لان هذا البحر

(٩-) نفس المصدر ص ٢٢٧ الترجمة الروسية عن الفرنسية بتروغراد ١٩١٠ - ١٩١٣ .

(١٠) فاندال ح ١ ص ٥١٩ .

(١١) فاندال ح ٢ ص ٥٢٢ .

يشكل الحدود الشرقية لها وتصب فيه بعض انهارها المهمة الفولغا والاورال التي يجب أن تكون مصباتها بعيدة عن نفوذ أية حكومة أجنبية . وقد كانت لبريطانيا اهتمامات خاصة في بحر قزوين قبل هذا الوقت فقد حاول الخبراء البريطانيون في صيف عام ١٨١٠ بناء قاعدة بحرية على سواحلها الا ان فتح علي شاه لم يوافق على ذلك الا ان بريطانيا سيطرت على كاميران مرزا حاكم هرات في الوقت الذي كانت تتمتع فيه هذه المدينة بأهمية كبرى اذ اعتبرها الكثير من العسكريين من الروس والبريطانيين مفتاح الطريق المؤدي الى الهند ، كما يمكن استعمالها كقاعدة لاي جيش يريد مهاجمة بحر قزوين من الشرق . وهذا مما ساعد بريطانيا على تهديد المصالح الروسية في سواحل بحر قزوين يضاف الى ذلك وصول بعثة بريطانية الى كابل برئاسة فيتكيشن سنة ١٨٣٧ . ان النشاط الروسي في الشرق الاوسط من خلال الثلث الاول من القرن التاسع عشر ما هو الا رد فعل للسياسة التوسعية البريطانية النشطة وليس له علاقة بغزو الهند . وفي سنة ١٨٣٨ استلم السفير الروسي في طهران رسالة خاصة من القيصر نيقولا الاول جاء فيها . لقد تصرف البريطانيون تصرفا غير صحيح عندما طالبو حكومة الشاه بمنحهم حق اقامة قنصليات بريطانية في موانئ بحر قزوين الفارسية لانهم سينفردون وحدهم بهذا الامتياز في الوقت الذي ليس لهم هناك أية مصالح تجارية وبذلك سوف لا تقوم هذه القنصليات بأي نشاط عدا الدعاية المناهضة لروسيا (١٢) . وفي ربيع عام ١٨٣٥ وصلت الى تفليس بعثة من امير كابل برئاسة الحاجي حسين علي خان وميرزا مهدي للتفاوض مع السلطة القيصريّة كما انضم اليها أحد الامراء الهنود المدعو كفاية خان والذي سمي نفسه سفيرا لحاكم مقاطعة لوكنوي في الهند (١٣) وربما كان القصد من وراء ذلك هو محاولة الاتفاق مع الروس للقيام بحملة مشتركة لغزو الهند ، على أن موافقة حكومة بتروغراد على ما ستعرضه البعثة من الاقتراحات سيعطي لبريطانيا مبررا لاحتلال أفغانستان بحجة حماية حدود الهند لهذا اتخذت الحكومة الروسية موقفا متحفظا من ذلك . وقد جاء في التقرير الذي رفعه القائد العسكري العام لجيوش القفقاس المؤرخ في مارت سنة ١٨٣٥ وهو الجنرال ماجولسكي (ان اطماعنا في كنوز الهند تعني حربنا مع بريطانيا ، والوصول

(١٢) مذكرات ديوجاميل - السفير الروسي في طهران ص ٨٤ بترولي راد سنة ١٨٨٥ .

(١٣) الارشيف الاحمر ح ٩ ص ٤٩ موسكو سنة ١٩٢٤ .

الى الهند لا يتم الا عبر مسيرة طولها الف فرسخ عبر أرض غريبه وموحشة تصطدم بعدها جيوشنا المرهقة بجيش منظم مما يجعل نجاحنا في كسب الحرب ضعيفا جدا ، غير ان ماجولسكي أيد الاتفاق مع أمير أفغانستان من أجل تطوير العلاقات التجارية بين البلدين دون التفكير بغزو الهند وان هذا قد يؤثر على الدبلوماسية البريطانية في أوروبا كما يساعد على إجبار بريطانيا على سلوك سياسة السلام وعدم التحرك باتجاه آسيا الوسطى وربما إجبارها على حل المشاكل الآسيوية بالطرق السلمية وفق شروط روسيا ورغباتها (١٤) . وقبل حرب القرم وفي خلالها ظهرت مجموعة من المقالات والدراسات تحدد أهداف السياسة الروسية في الشرق الأوسط وكان معظم أصحاب هذه الدراسات من العسكريين المشهورين آنذاك أمثال الجنرال جيما جيف وتورناو وبلاراميرج وخروليف وهي تهدف في القيام بمظاهرة عسكري في آسيا الوسطى . ففي بداية عام ١٨٥٦ كتب خروليف الى وزارة الحربية مطالبا باعداد حملة عسكرية قوامها ثلاثين ألف جندي تنطلق من السواحل الجنوبية الغربية لبحر قزوين الى هرات قندهار فالهند . أما الجنرال بلاراميرج فقد كان يرى أن احتلال الهند خيال واسع لا يمكن التفكيك به مطلقا ويقترح الاقتصار على ارسال وحدات عسكرية الى أفغانستان للقيام بمظاهرة عسكرية على حدود الهند وقد تستطيع الجيوش الفارسية في المستقبل القيام بهذه العملية تحت إشراف الضباط الروس . أما لو تمت السيطرة الروسية على أفغانستان فانها ستكون سيفا مسلطا بصورة دائمية على حدود الهند (١٥) . وقد جاء بمثل هذا المشروع أيضا الجنرال جيماجيف قبيل اندلاع حرب القرم بثلاث سنوات اذ أعلن عن عزمه على ارسال حملة قوامها خمسة آلاف جندي من استراياد الى هرات ثم قندهار في حالة الحرب مع بريطانيا وهو يعتقد أن هذه الحملة ستترك آثارا عظيمة على السياسة البريطانية في الشرق الأوسط واعمال الاسطول البريطاني في البحر الاسود وبحر البلطيق كما اقترح تقوية شواطئ الدانوب بخمسين ألف جندي وتقوية حامية حصن سيواسنيبول في شبه جزيرة القرم (١٦) . أما مشاريع الجنرال

(١٤) سياسة روسيا الخارجية ج ٨ ص ٥٢٢ موسكو ١٩٢٨ . وثيقة ١١٤٤ ورقة ٧٨ .

(١٥) العلاقات الدولية في مرحلة الامبريالية القسم ١١١ ج ٧ وثيقة ٣٧٢

(١٦) سياسة روسيا الخارجية ج ٨ موسكو ١٩٢٨ وثيقة ١٨٢٦ ورقة ٩٠٨ .

تورنوري فكانت متحفظة جدا فلم يشير الى الحملة على الهند وافغانستان ولكنه اقترح اتخاذ تدابير عاجلة لتقوية مركز روسيا على سواحل بحر قزوين بتقوية القواعد الروسية في باكو وبناء قواعد جديدة عند الحدود الفارسية التركستانية بين نهري جيورجين وكاراس (١٧) وان هذه القلاع كفيلة بحماية بحر قزوين الذي يتمتع بأهمية كبرى بالنسبة للقفقاس وآسيا الوسطى . وستؤدي هذه الاجراءات الى تقوية نفوذ روسيا في فارس وافغانستان وتركستان وتترك أثرا على المصالح البريطانية في الهند . وسوف لا تقوم الحكومة البريطانية بسحب بعض جيوشها من الهند الى فارس بل انها ستبقي على كل قواتها لمجابهة الروس على حدود الهند . ولذا فان هذه المشاريع التي وضعت في النصف الاول من القرن التاسع عشر كلها جاءت من باب التظاهر وانها اعتبرت مسرح آسيا الوسطى يمثل المرتبة الثانية بالنسبة الى البحر الاسود والشرق الادنى اللذين يمثلان المسرح الرئيسي . أما بالنسبة لاحتمال الحركة في اتجاه الحدود الافغانية - الهند فيعتبر عملا تخريبيا ضد سياسة بريطانيا المناهضة لروسيا في الشرق الادنى ، ومع ذلك يجب عدم اهمال الدفاع عن حوض بحر قزوين وخانات آسيا الوسطى ويرى تورنوي ان انتزاع مناطق اطراف القفقاس من روسيا سيؤدي الى انتهاء المصالح الروسية في حوض بحر قزوين وانتزاع حلقة الوصل بينهما وبين آسيا الوسطى . ولا يخفى ان هذه المناطق ضرورية جدا لبريطانيا بالنسبة لمصالحها في الهند وفي الحقيقة فان الدفاع عن الهند بنظر الدبلوماسية والنظريات العسكرية البريطانية لا يقتصر على الهيمنة على افغانستان وكاشغر وبخاري وخيفا والاقسام الشرقية من فارس بل وتشمل حوض البحر الاسود وبحر قزوين . واذا لم يحقق انتهاء النفوذ الروسي فيما وراء القفقاس فلا يمكن ان يحقق السلام للإمبراطورية في الهند (١٨) . وعند تدقيق المشاريع العسكرية الروسية التي لها علاقة بآسيا الوسطى لا نجد مشروعا يدعوا الى غزو الهند سوى مشروع الجنرال خروليف مع انه يعتقد ان ذلك مجرد رد على الاعمال العدائية التي تقوم بها بريطانيا ضد النفوذ الروسي في أوروبا والشرق الادنى . ويظهر ان الحكومة القيصرية ووزارة الحربية الروسية بالذات لم تعر أية أهمية لاي من هذه المشاريع وهي في عز قوتها خاصة وانها تتطلب التهيؤ لسنين طويلة ولو كان الحكام الروس يفكرون بصورة جدية بغزو

(١٧) سياسة روسيا الخارجية ح ٨ وثيقة ١٨٩٦ ورقة ، موسكو ١٩٢٨ .

Morning Herald, 1855 6 October.

(١٨)

الهند لاستغلوا ظروف تلك الثورة العنيفة التي نشبت ضد الوجود البريطاني في شبه القارة الهندية ١٨٥٧ - ١٨٥٨ م . والتي انتشرت في مناطق واسعة في الوسط والشمال وسببت لبريطانيا وضعا حرجا في الهند وفي الوقت الذي انشغلت فيه بريطانيا في حربها مع الصين . الا ان بريطانيا استغلت شعار حماية الهند من الخطر الروسي للاستحواذ على افغانستان ١٨٣٩ - ١٨٤١ . وشن الحربين العدائيتين ضد فارس ١٨٣٨ ، ١٨٥٦ - ١٨٥٧ . لتحقيق السيطرة البريطانية على المواقع الاستراتيجية والاقتصادية في فارس ولا سيما في المناطق الجنوبية منها المطلّة على سواحل الخليج العربي *

ان النجاحات التي حققتها روسيا في عمق آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أدت الى نشوء حالة جديدة من الصراع الحاد بين روسيا وبريطانيا . فعادت أبواق الدعاية البريطانية تضرب مجددا على نفمة الخطر الروسي على الهند . لقد ذكر السائح الهنغاري (آر مين فامبيري) المعروف بتعاطفه مع حزب المحافظين البريطاني : ان تركستان تمثل الخطوة الاولى في طريق تحقيق الهدف الرئيسي لروسيا وهو الوصول الى الهند (١٩) . ولأقت مثل هذه الادعاءات والفرضيات رواجاً واسماً في أواسط الصحف البريطانية . فقد كتب راولنسون - وهو من المختصين في شؤون الشرق الاوسط في سنة ١٨٦٨ . ان روسيا تتهياً لغزو الهند في المستقبل القريب من ثلاث اتجاهات : هي

١ - الاتجاه الذي بدأت فيه في النصف الاول من القرن التاسع عشر وهو بحر قزوين من خلال أورنبيرغ وسهوب سيبيريا ثم الى ارتوش .

٢ - الاتجاه من مدينة كراسنافود - خيفا ومن هناك عن طريق نهر أمور ثم هضبة البامير .

٣ - الاتجاه من استراباد - هرات - قندهار - كابل وهذا يعطي روسيا مفتاح بوابة الهند (٢٠) أكد فيها على آرائه السابقة وقال اذا ما وصلت روسيا الى المنطقة الجنوبية الشرقية من سواحل بحر قزوين واستولت على

(١٩) ارمين كامبيري - رحلة في آسيا الوسطى ، بتروغراد سنة ١٨٦٥

ص ٢٢٠ .

(٢٠) سوبوليف - الصراع البريطاني الافغاني ، بتروغراد سنة ١٨٨٥

ص ٣٥٩ .

خيفا فسيكون الطريق مفتوحا امامها الى الهند (٢١) وبعد العقد السابع من القرن التاسع عشر تجددت مخاوف بريطانيا على الهند وكانت هذه المخاوف غير مبنية على أي أساس سوى التوسع الروسي في آسيا الوسطى وسيطرتها على قبائلها والتي تتمتع بأهمية كبرى لقربها من بحر قزوين وجنوب أورال ومناطق الفولغا السفلى وسيبيريا . وجاء التوسع الروسي في هذه الفترة كحاجة ملحة بعد التطور السريع الذي أصاب الاقتصاد الروسي بعد قوانين الإصلاح لسنة ١٨٦١ اذ تطورت الرأسمالية الصناعية في روسيا وأصبحت لها قواعد أساسية ، فاتجهت البرجوازية الروسية نحو آسيا الوسطى وهذا مما أربح الاستعمار البريطاني لان هذا لا يتفق مع الاهداف التوسعية للسياسة البريطانية في الشرق الاوسط . كما استغلت السلطة القيصرية هذا المسرح لمراقبة سياسة بريطانيا التوسعية في الشرق الادنى . والملاحظ أن روسيا لجأت الى مثل هذه الاساليب لتحقيق بواسطتها بعض النجاحات فالتوسع الروسي في آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ساعد الدبلوماسية الروسية في سنة ١٨٧١ على اعادة النظر في معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ ، كما أن وصول بعثة ستوليتوف الى كابل سنة ١٨٧٨ والتي وصفها ماركس . بأنها لعبة شطرنج في أفغانستان (٢٢) كانت تستهدف الضغط على سياسة دزرائيلي في مؤتمر برلين . وقد اتخذت وزارة الخارجية الروسية من الهند وسيلة قوية للضغط على سياسة بريطانيا ، فقد أعلن وزير خارجية روسيا لامزداروف : ان الهند تمثل جرحا في الامبراطورية البريطانية ، ويمكن اتخاذ هذا الجرح وسيلة للضغط على حكومة صاحبة الجلالة لكي تغير من سياستها العدائية تجاه روسيا وتتحول الى الاسلوب السلمي لتسوية المشاكل المعلقة بين الطرفين (٢٣) ولما حاولت بريطانيا بعد الحرب الروسية

(٢١) ماك جريجو - الدفاع عن الهند - مجموعة مواد جغرافية سكانية واحصائية حول آسيا ح ٥٣ ص ٢٠٣ بتروغراد ١٨٩١ .

(٢٢) ماركس وانكلز - المجموعة الكاملة ح ٢٤ ص ٦٠٢ موسكو سنة ١٩٤٨ .

(٢٣) مراسلات وزير الخارجية لامزداروف مع الحاكم العسكري العام لتركستان ٧ ايلول بتروغراد سنة ١٩٠٠ .

التركية ١٨٧٧ - ١٨٧٨ أن تعرقل استغلال روسيا لنتائج انتصارها على الدولة العثمانية بدأ بعض المسؤولين الروس يفكرون بممارسة الضغط على بريطانيا في آسيا لصالح بلادهم في البلقان (٢٤)

كما كان هناك بعض الخبراء الروس ممن لا يجذبون انتهاج هذه السياسة وقد أوضحوا في تقاريرهم إلى الجهات العليا ما تعانيه روسيا من ضعف اقتصادي لا يساعدها على أن تزج نفسها في حرب صعبة من أجل أغراض خيالية وغير محددة . وقد دعو الحكومة الروسية إلى أن تعالج مشاكلها مع بريطانيا على أساس من الحلول السلمية وليس على أساس المجابهة . وقد تأثر بعض رجال الحكومة الروسية بهذه الدعوة . فقد بعث وزير الحربية في سنة ١٨٧٨ عندما حاولت بريطانيا غزو أفغانستان إلى حاكم مقاطعة تركستان يذكره فيها أن نجاح بريطانيا على حدود الهند الشمالية سيجعلها أكثر تشددا في أوربا تجاه المصالح الروسية ويقترح على حكومته أن تعتمد إلى سياسة السلام في أوربا وأن لا تسمح بقيام أية فرصة تؤدي إلى الاصطدام ببريطانيا في آسيا إذ ربما يؤدي ذلك إلى حرب معها لأن مثل هذه الحرب غير مجدية أو مفيدة إلى روسيا (٢٥) .

ومن الجهة الثانية فقد كان بعض ساسة بريطانيا لا يعترفون بوجود خطر روسي على الهند ويقولون بإمكانية حل الخلافات بين الدولتين بالطرق السلمية ومن أشهرهم جون لورنس نائب الملك في الهند فقد أعلن في سنة ١٨٧٢ . في محاضرة القاها في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن (أنه لا تزال روسيا بعيدة عو كونها تمثل خطرا على الهند) (٢٦) ، وقال أن القضايا المعلقة بين الطرفين يمكن حلها بالطرق السلمية ، ولم يكتف بذلك بل أرسل أحد مساعديه إلى بتروغراد للتحايل حول أفغانستان وجاء بنفسه الرأي الجنرال يداي إذ أعلن بأن روسيا لا تزال بعيدة عن الحدود البريطانية وأنها

(٢٤) سنيسارييف - الهند المشكلة الأساسية في المشرق الأوسط ، وبتروغراد ١٩٠٦ ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢٥) من رسائل وزير الحربية سيليوتن إلى الحاكم العسكري العام لمقاطعة تركستان الجنرال كاوفمان في ٦ تشرين أول سنة ١٨٧٨ .

(٢٦) مواد حول خطر حملة خيفا ص ٣ تروغراد سنة ١٨٧٣ .

لم تحكم سيطرتها على الكثير من مناطق نفوذها في آسيا الوسطى حتى الوقت الحاضر (٢٧) . ومع ذلك لم يتمكن هذا التيار المسالم من التأثير على السياسة البريطانية الخارجية ، اذ استمر اكثرية الساسة البريطانيين في ادعاءاتهم بوجود الخطر الروسي المهدد للهند . ولم يكن هذا الهدف دفاعيا بل سعيا وراء التوسع الاستعماري في الشرق الاوسط ، ويتضح ذلك في مقترحات هنري راولسن التي دعا فيها الحكومة البريطانية الى وجوب التدخل في أفغانستان ورفض مشروع حيادها الذي تقدمت به روسيا في محادثات عام ١٨٦٩ بل ارادوا توسيع المنطقة الحيادية الى الشمال من أفغانستان (٢٨) .

ولقد ازدادت مخاوف روسيا بعد أن توغل الجيش البريطاني في أفغانستان سنة ١٨٧٨ واعترف عبد الرحمن امير أفغانستان بالتبعية البريطانية بحيث أثرت هذه الظروف على سياسة الحكومة القيصريّة وجعلتها تقرر وجوب التوغل بعمق في تركستان . وكان وزير الحربية الروسي ميليوتن من المتحمسين لهذا المشروع وقد اشار في شباط سنة ١٨٨٠ الى استمرار المخاطر البريطانية على القفقاس وتركستان وسواحل بحر قزوين لاسيما بعد استقرار النفوذ البريطاني في مدينة كفيّتا وقندهار وتفكير البريطانيين بمشروع سكة حديد هرات الهند (٢٩) .

لقد استعرت سياسة بريطانيا في تصوراتهم القائمة على اساس ان تقدم الجيش الروسي في تركستان انما هو خطوه في طريقهم لغزو الهند وكان المشروع الذي وضعه سكوبيليف سنة ١٨٧٨ والذي جاء فيه أن الوجود الروسي في تركستان ليس لضمان المصالح الروسية فقط بل يمكن

(٢٧) مواد حول خطر حملة حيفا ص ٤ سنة ١٨٧٣ بتروغراد .

(٢٨) المحادثات الروسية - البريطانية حول أفغانستان ص ٤٠٣ بتروغراد سنة ١٨٨٦ .

(٢٩) سياسة روسيا الخارجية ح ٩ موسكو ١٩٢٨ وثيقة ٦٨٠٢ ورقية ٤٢ - ٤٣ .

استغلاله لحل مشاكل الشرق بما يضمن المصالح الروسية . على ان مشروع سكوبيليف لم يدع الى احتلال كابل كما انه لم يتطرق الى الهجوم على خط الدفاع الهندي وممرات خيبر وكورومسكي (٣٠) وقد كان هذا المشروع آخر المشاريع الروسية نحو آسيا الوسطى الا ان السلطة القيصرية لم تستغله في سياستها . ولا شك في أن وقوع افغانستان تحت النفوذ البريطاني قد أتاح لبريطانيا موقعا استراتيجيا مهما فنشطت الاستخبارات البريطانية بين صفوف قبائل التركمان من سكان صحراء هرات ومقاطعة السهوب الممتدة وراء بحر قزوين . وفي سنة ١٨٨٤ وقع بيد الملحقة العسكرية الروسية في لندن تقرير القائد العام للجيش الهندي ماك كريجور - تحت عنوان - الدفاع عن الهند - وقد تضمن هذا التقرير منهج السياسة البريطانية بحيث تعود روسيا القيصرية الى حدود دوقيه موسكو (واقتطاع القفقاس وتركستان وبولندا واورانيا وروسيا البيضاء والبلطيق وان تحقيق ذلك يتم بالاساليب التالية :

- (١) عزل روسيا دبلوماسيا .
- (٢) قطع العلاقات التجارية مع روسيا وتدمير الاقتصاد الروسي .
- (٣) التحالف مع النمسا والمانيا .
- (٤) استيلاء انكلترا على هرات .
- (٥) اتفاق دفاعي ومجموعي مع قبائل الخزر .
- (٦) كسب حكومة فارس الى جانب انكلترا .
- (٧) التقرب من الصين .
- (٨) اثارة الاضطرابات في أوساط خانات آسيا الوسطى .

ويرى ماك كريجور بأن الاسلوب الناجح للقضاء على النفوذ الروسي في آسيا الوسطى هو اثارة القبائل المحلية على السلطات الروسية . كما كان ساسة بريطانيا يرون ان الدفاع عن الهند يتطلب تجزئة الامبراطورية الروسية

-
- (٣٠) مسكوبيليف - مشكلة الهند . الانسكلو بيديا العسكرية ح ١٠ ص ٦٢١ بتروغراد سنة ١٨٨٠ ، ١٩١٢ .
 - (٣١) ماك كريجور - الدفاع عن الهند - مجموعة مواد جغرافية وسكانية واحصائية حول آسيا ح ٥٣ ص ٧ - ٢٢ بتروغراد سنة ١٨٩١ .

سواء كانت السياسة الروسية الرامية الى غزو الهند والاعتداء على مناطق النفوذ البريطاني جدية ام للتظاهر وحسب .

ان هذه الاقتراحات وما تلاها من تحركات بريطانيا بعد سيطرتها على افغانستان جعلت الحكومة القيصرية تفكر بصورة جدية في ضم المناطق الشرقية لتركستان حتى حدود بخاري من الشرق وافغانستان من الجنوب الشرقي . مما جعل الحكومة البريطانية تدفع أمير افغانستان نحو الصراع العسكري مع روسيا والذي انتهى بفشله سنة ١٨٨٥ .

ان نمو حركة التحرر الوطني في مستعمرات الشرق ووصولها الى درجة الثورة في الامبراطورية الروسية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مما أخاف الحكام الروس ودفعهم الى التقرب من انكلترا والميل الى العمل المشترك بين الدولتين وقد اتضحت هذه الاتجاهات في تصريحات وزير الحربية كروبايتكين فقد جاء في مذكراته لسنة ١٩٠٠ انه كان دائما من أنصار فكرة التعاون المشترك مع بريطانيا لوجود تشابه في الاهداف (نجاح الثورات يرهبا ويرهب انكلترا) (٣٢) وانه يعتقد اعتقادا جازما باستحالة استعمار الهند من جانب روسيا في القرن العشرين ولذلك فقد دعا الى ضرورة قيام الصداقة والتعاون بين الدولتين وانه اذا ما قامت الثورة في الهند ضد انكلترا فعلى روسيا ان تقف الى جانب انكلترا ضد الثورة ، كما يرى ان القرن العشرين سيكون عصر الصراع في آسيا بين المسيحيين وغير المسيحيين ومن صالح البشرية ان تكون روسيا في حلف مع المسيحيين في صراعهم ضد القبائل غير المسيحية (٣٣) .

وفي سنة ١٨٩٤ صرح كروبايتكين لاحد العسكريين البريطانيين الذين زاروا القفقاس بانه يتمنى ان يلتقي مع الانكليز في آسيا الوسطى ولكن ليس في ميدان الحرب والاصطدامات العسكرية بل السير يدا بيد في الطريق العظيم من أجل التطور الحضاري ومن أجل مصلحة شعوب آسيا الوسطى (٣٤) كما انه دعى في تقريره لسنة ١٩٠٠ الى انه من غير مصلحة روسيا ان

(٣٢) مذكرات الجنرال كروبايتكين ص ٦٤ برلين سنة ١٩٠٩ .

(٣٣) مذكرات الجنرال كروبايتكين ص ٦٥ برلين سنة ١٩٠٩ .

(٣٤) مجلة الخواطر الروسية ص ١٩ بتروغراد سنة ١٨٩٤ .

تحتل شمال أفغانستان وهرات (٣٥) إلا أنه على الرغم من ذلك عاد في مطلع القرن العشرين شعار الدفاع عن الهند مجددا ففي عام ١٩٠٣ - ١٩٠٦ أقام اللورد كيتشنر باعادة تنظيم الجيش البريطاني في الهند ووصل حجم الميزانية العسكرية الى ١٥٦٢٧٠٠ جنيه استرليني للفترة ١٩٠٠ - ١٩٠٤ وقسم الجيش الهندي الى جيش الشمال المتكون من خمسة فيالق وجيش الجنوب المتكون من أربعة فأصبحت كثافة الجيش البريطاني في الهند على الحدود الشمالية الغربية ٣٠ مجموع القطاعات العسكرية في الهند كما تأثرت مشاريع السكك الحديدية في هذه الفترة بالاهداف العسكرية فقد تم مد خط حديدي من مدينة كفتيتا الى شامان الواقعة على حدود السند وأفغانستان ثم قندهار . كما اقترح مد شبكة حديدية في الاجزاء الشمالية من الهند عبر ممرات خيبر حتى تكون قرية من الاراضي الافغانية بحيث تبعد عن كابل مسافة خمسة وتسعين ميلا (٣٦) وتدعى الوثائق الرسمية البريطانية ان هذه التدابير جاءت بقصد الدفاع وتقوية وسائل حماية المناطق الشمالية الغربية من الهند ، لكن خطط توزيع الجيوش واتجاهات السكك الحديدية كلها أدلة كافية لاعطاء الصفة الهجومية للستراتيجية العسكرية البريطانية في الهند .

وفي سنة ١٩٠٢ تم توقيع الحلف الانكليزي الياباني الذي تعهدت بريطانيا بموجبه تقديم المساعدات الى اليابان في حالة قيام حرب بينها وبين روسيا وكان هذا من جملة ما حفز اليابان على اعلانها الحرب ضد روسيا . وبعد الحرب الروسية اليابانية استغل حكام انكلترا مصاعب روسيا الداخلية وبدأوا يفكرون في تنفيذ مشاريعهم التوسعية في الشرق الاوسط ، وقد كتب القنصل الروسي في بومباي الى وزير الخارجية لامزداروف بهذا المعنى ان ثقة الحكومة البريطانية بعدم قدراتنا العسكرية في آسيا الوسطى عند مقارنتها بتحضيراتها العسكرية في شمال غرب الهند مما يشجعها على العمل الفعال في هذه المناطق (٣٧) وحاولت انكلترا كذلك استغلال اتفاقها مع امير افغانستان - حبيب الله خان - للقيام باعمال عسكرية بالقرب من

(٣٥) مذكرات الجنرال كروباتكين ص ٦١ - ٦٣ برلين ١٩٠٩

(٣٦) G. Arther, Life of Lord Kitchener, VII, p. 140-141, (٣٦) London, 1902.

(٣٧) سنياساريف - الهند - المشكلة الاساسية في الشرق الاوسط . ص ١٧٨
يتروغراد سنة ١٩٠٦ .

الحدود الروسية كما مارست الدبلوماسية البريطانية ضغطا على الحكام
الفرس لادخال جيوشها في مقاطعة خراسان وفي نفس الوقت وجهت اتهاما
لروسيا بانها تقوم باجراء تحشيدات عسكرية في آسيا الوسطى يبلغ مجموعها
مائة الف جندي في تركستان وثمانين الف جندي في حدود بامير وثلاثين
الف جندي احتياطي من المقرر ارسالها الى آسيا الوسطى . خاصة بعد انجاز
سكة حديد اورنبرغ - طاشقند على أن روسيا لم تكن في الواقع متهيأة
في هذا الوقت للقيام بمثل هذه الاعمال العسكرية للخسارة التي لحقت بها
في حربها مع اليابان وما تبع ذلك من مضاعفات . ومن الناحية الاخرى فان
اعادة تنظيم الجيش البريطاني في الهند التي بدأها كتشتر في بداية القرن
العشرين لم تنجز بعد ، كما ان الهياج الجماهيري في الهند حينذاك لم يشجع
بريطانيا على مهاجمة المناطق الروسية ، يضاف الى ذلك ظهور الخطر
الاماني في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والذي اعتبر
العدو الاول لبريطانيا ، كما ان هذا الخطر أخذ يهدد المصالح الروسية أيضا
في الشرق الادنى والبلقان وهذا مما أدى الى قيام التحالف الانكليزي الروسي
في سنة ١٩٠٧ . ومع ان هذه المعاهدة لم تنه مقاومة بريطانيا السياسية
والاقتصادية الموجهة ضد روسيا في الشرق الاوسط الا انها انتهت تفكير روسيا
في اعداد حملة عسكرية لغزو الهند .

وكانت الاستخبارات البريطانية على اطلاع على حقيقة الوضع
الاقتصادي والسياسي والعسكري في داخل روسيا في نهاية القرن التاسع
عشر . وبداية القرن العشرين وانه لا يساعدها على القيام بمثل هذه
الخطوات العسكرية . فقد ذكر الجنرال الانكليزي (ايسر رود جوي) والذي
كان مسؤولا عن المناطق الشمالية الغربية للهند حتى سنة ١٩٠٠ اذا ما حصل
وان جنرالا روسيا قليل التفكير اراد غزو الهند عن طريق سكة حديد
امودار - سواحل بحر قزوين فستواجهه صعوبات جمة في اجتياز الطريق الى
هضبة هندكوش وصحراء افغانستان ولا يمكنه ان يحقق ذلك الا بمعونة
الله (٣٨) . كما كذب اسطورة الغزو الروسي للهند أحد الوزراء المحافظين
وهو اللورد جيمس عندما خطب في مجلس العموم البريطاني في تشرين
ثاني سنة ١٩٠٥ قائلا : - لقد كرر المسؤولون الانكليز دعرهم من الهجوم
الروسي على الهند لفترة طويلة ، الا ان الصحراء الواسعة التي تحيط بالهند

(٣٨) جون ادى - سياسة الحدود الهندية ص ٤١ طاشقند سنة ١٩١٠
(الترجمة الروسية عن الانكليزية) .

تعتبر أكبر عائق في وجه هذا الغزو (٣٩) • كما ان المعلومات التي جاء بها زعيم الطائفة الاسماعيلية اغا خان - بعد تجواله في آسيا الوسطى والتي قدمها الى نائب الملك في الهند تدحض هذه الادعاءات القائمة على وجود خطر روسي على الهند (٤٠) •

على انه اذا كان الخطر الروسي حقيقة واقعة بالنسبة للهند فمن بديهيات الاستراتيجية العسكرية بناء خطوط دفاعية وتحصينات لحماية حدود الهند الشمالية الغربية من ذلك الخطر ولكن لم يكن هناك أي أثر لمثل تلك التستراتيجية • ففي نهاية القرن التاسع عشر زار الهند الكابتن الروسي (هوفيسكي) فلم يجد أثرا للتحصينات العسكرية على حدود الهند الشمالية الغربية ولم يلاحظ أي اهتمام للانكليز بذلك ولو انهم اعتقدوا بوجود خطر روسي حقيقي على الهند لاقدموا على تحصين هذه الحدود لان التحصينات الموجودة هناك لا يمكن أن تلعب دورا مهما في حروب المدفعية بالنسبة للجيش الاوربية في تلك الفترة • وكان من غير المتوقع ان تجد مثل تلك الحالة بعد الادعاءات البريطانية المتكررة والملمعة حول الخطر الروسي على الهند (٤١) وذكر هوفيتسكي قلة الاهتمام بوسائل توفير الحماية للهند على الرغم من المنشورات والدعوات البريطانية المتكررة حول الخطر الروسي على الهند ، وهناك مشاريع دفاعية كثيرة لحماية حدود الهند الشمالية ولكن لم ينفذ منها أي شيء على الرغم من ضريبة الدفاع المفروضة على الشعب البريطاني والتي كانت كافية لبناء مثل تلك الخطوط الدفاعية للذود عن الممتلكات البريطانية في الهند (٤٢) كل هذا يؤيد وجهة النظر القائلة بان ما تقصده بريطانيا (بالخطر الروسي على الهند) وهو تنفيذ تطلعات بريطانيا في الاستمرار في سياسة الاحتلال والتوسع خارج الهند متخذة من مسألة الخطر الروسي على الهند ذريعة • ولذلك فان سياسة انكلترا

(٣٩) مجلة الكشف التركستانية - طاشقند ١٩٠٧ ١٧ تم
(باللغة الروسية) •

(40) H. J. Green Wall, His highness the Aga Khan,
p. ٥2, London, 1952.

(٤١) هوفيسكي - ملاحظات عسكرية حول الهند ص ٢١٥ - ٢١٦ بتروغراد
سنة ١٨٩٩ •

(٤٢) هوفيسكي - ملاحظات عسكرية حول الهند •

التوسعية شمال الهند لا يمكن اعتبارها على أساس انها حاجة استراتيجية بل انها جاءت نتيجة لهدف السياسة البريطانية التوسعية ومن أجل تنفيذ سياستها في السيطرة على مناطق واسعة في العالم (٤٣) .

وهناك دراسة قام بها ضابط ياباني بعد زيارة للهند استمرت ثلاثة أشهر وهو من مؤيدي السياسة البريطانية في الشرق الاوسط والاتفاق الانكليزي الياباني ، زار القلاع العسكرية في حدود الهند الشمالية الغربية مثل مالاكاند و (قوت جاردار) وكان انطباعه عن هذه القلاع بانها غير مهيأ لصد الجيوش النظامية بل انها اقيمت للحماية من هجمات القبائل البدوية (٤٤) وكانت الملاحظات المهمة التي توصل اليها هذا السائح الياباني هو أن انكثرتا تنهياً ليس من أجل الدفاع عن الهند ولكن من أجل الهجوم من الهند (٤٥) وكانت المعلومات التي جاء بها الضابط الروسي كرنيلوف الذي زار شمال الهند في ابدية القرن العشرين (٤٦) تؤيد المعلومات التي جاء بها السائح الياباني .

واستنادا الى هذه المعلومات فان بريطانيا لم تكن تخشى من خطر الهجوم على الهند ولكنها تنهياً للهجوم من الهند وان المعلومات المتوفرة لبريطانيا عن وضع روسيا الاقتصادي والعسكري أقنعتها ان روسيا لا تستطيع القيام بمثل هذه المشاريع ولذا فلم تخشى الخطر الروسي ولكنهم على العكس كانوا يستغلونه للتقدم الى الشمال من الهند وكذلك يتضح لنا من خلال دراسة كافة الفترات التي مر بها الصراع الروسي البريطاني ان روسيا لم تقصد بمشروع الحملة الهندية احتلال الهند ولكنها كانت تتخذ من ذلك وسيلة للضغط على بريطانيا لتحقيق مكاسب سياسية في البلقان والشرق الاوسط .

(٤٣) هوفيسكي - ملاحظات عسكرية حول الهند ص ٢١٧ بتروغراد سنة ١٨٩٩ .

(٤٤) ملاحظات حول زيارة جيجاسي اوسوجينا حدود الهند الشمالية الغربية ١٠/٨ - ١٢/٨ ١٩٠٤ ص ٣٥ ، ص ٣٧ ، بتروغراد سنة ١٩٠٧ .

(٤٥) خيجاسي اوسوجينا ص ٢٢ .

(٤٦) كورنيلوف - رحلة في الهند ص ٥٣ ، ص ٧٨ بتروغراد سنة ١٩٠٣ .